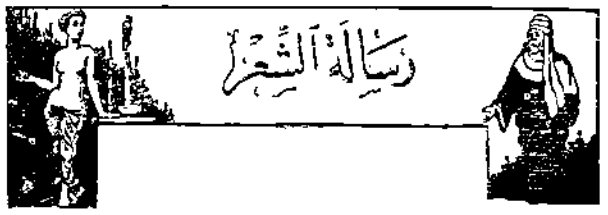

رجال ونساء

للأستاذ علي محمود طه

[ننشر فيما يلي جزءاً ثانيا من ملحمة الشاعر « علي محمود طه » وهو يلي الجزء الذي نشرناه منها في عدد سابق من «الرسالة» ويدور الحوار في هذا الفصل المتع على الفنان الأول ، وأثر المرأة في فنه واتجاهاته ، وفيه أيضا حديث مؤثر عن الفنان الأعمى ، والأسماء التي يجري الشاعر الحوار على ألسنتها تقع في عالم الحقيقة والخيال . فهرميس إله الوحي والشعر في الميثولوجيا ، وبلبيس الشاعرة الخرافية التي بعثها الكاتب الفرنسي « بيير لويس » على غرار الشاعرة اليونانية اسبازيا . أما تايس وسافو فأسمهما معروف في القصص والتاريخ]

(الملك وقد عاد في طريقه إلى حيث الحوريات بعد أن ودع روح الفنان على أنقى الأرض)

الملك :

سلامَ الملائكِ روحَ الجمالِ

الأرواح :

سلامٌ لهرميس روح الآلهْ

الملك :

أرى وَمْضَةَ الشرِّ في جوِّ كنّْ ... وأسمعُ صوتاً كأنّي أراهْ
يلاحقني في رحابِ السماء ... ويرتجُّ في مِسمعيَّ صداه
« لقد فارقَ البشرُ غُرَّ الوجوهِ ... وشاعَ الذبولُ بوردِ الشفاه ! »

الأرواح :

أجلْ أيها الملكُ المجتبَى ... صدقتَ فاغفر عذابَ الضميرْ

لقد مرَّ كالطيرِ من قربنا ... فَتًى في رعاية ربٍّ خطيرْ
رآنا فأعرَضَ عنّا ولمْ ... يُحَيِّ السماء بروحٍ قريرْ
تعاظم محتقراً أمرنا ... وأمعن في شَرِّهِ المستطيرْ !

هرميس :

ظلمتنَّ هذا الغلامَ البريء ... وقد غَضَّ من ناظريهِ الحذَرْ
أهَلَّ بقلبٍ كفرخِ القطا ... يرفرفُ تحتَ جناحِ القدَرْ
رآكنَّ فيهِ وحيًا بهِ ... فلم أدرِ حاجتَه للنظرْ !

الأرواح :

وكيف تكلَّم قلبُ الفتى ... وما هو إلاّ سليلُ البشرْ ؟

هرميس :

هُوَ ابنُ السماء ولكنَّهُ ... من النقصِ تركيبُه والتمامْ
صَنَاعُ الطبيعةِ بلْ صُنْعُهَا ... فنها دمامتُهُ والوسامْ
يُسِفُّ إلى حيث لا ينتهي ... ويسمو إلى قمةٍ لا تُرامْ
ويُشْقَى بكأسِ إلهيةٍ ... مُرَنقةٍ بالهوى والآثامْ

* * *

نقيضانِ شتَّى فما يستقرُّ ... على غَضَبٍ منهما أو رضاء
تحدَّى الحياةَ وآلامَها ... ببأسِ الجبابرةِ الأعلياء
يزيدُ عُتُوًّا على نارها ... ويلمعُ جوهرهُ مِنْ صَفاء
وينشقُّ عن نَضْرةٍ قلبُه ... وإنْ طَمَرَتْهُ ثلوجُ الشتاء

* * *

هو القلبُ محتشداً بالمنى ... هو العقلُ مُتَّقِدًا بالذكاء
حَبَتْهُ الألوهَةُ روحًا يَرَى ... وينطِقُ عنها بوحي السماء
يَحُسُّ الخيالَ إذا ما سَرَى ... ويلمسُ ما في ضميرِ الخفاء
ويبتدرُ النجمَ في أفقِهِ ... فيرشُفُهُ قطرةً من ضِياء

* * *

أرَتْهُ السماء أعاجيبَها ... وَرَوَّتْهُ من كلِّ فَنٍّ بديعْ
فضنَّ بلألاء هذا الجمالِ ... وخافَ على كنزهِ أن يضيع

أبَى أن يُبدِّدَهُ ناظراه ... فأطبقَ جفنيهِ ما يستطيع
فإن شارفَ الأرضَ نادتْ بهِ ... ففتَّحَ عيناً كعينِ الرَّبيع

القصيدة الأولى

هنا لكَ حيث تَشبُّ الحياةُ ... وحيث الوجودُ جنينُ العَدَمْ
وحيثُ الطبيعةُ جبـــارةٌ ... تشقُّ الوهادَ وتبني القِمَمْ
وحيثُ السعادةُ بنتُ الخيالِ ... ولذَّتُها من معاني الألَمْ
وحيثُ الطريدانِ شجَّا الكؤوسَ ... وبَجَّا صُبابَتها من قِدَمْ

* * *

رَنَا ، والطبيعةُ في حلبها ... وحواءُ عاريةٌ كالصَّنَمْ
فمن أين سارَ وأنَّى سرَى ... تَصَدَّتْهُ مُقْبِلَةً من أمَمْ

* * *

هنا لكَ أول قلبٍ هفـــا ... وأولُ صوتٍ شـدا بالنَّغَمْ
وأولُ أنمُلَةٍ صـــوَّرَتْ ... وخطَّتْ عَلَى اللوحِ قبل القَلَمْ

* * *

فما لكِ حواءُ أغْويتِـــهِ ... وأعقبتِهِ حَسَراتِ النَّـدَمْ
لقد كان راعيَكِ المجتبَى ... فأصـــبحَ راميَكِ المتَّهمْ
ولولاكِ ما ذرفتْ عينُـهُ ... ولا شـــامَ بارقةً فابتَسَمْ
وعاشَ كما كانَ آباؤه ... يُغَنِّي النجومَ ويرعى الغنمْ !

القصيدة الأخيرة

لأجلكِ يَشقى بلمحِ العيونِ ... ويُصْرَعُ بالنظرةِ العـــابره
لَوَدَّ إلى الأرضِ لو لم يُصِخْ ... أو ارتدَّ بالمقـــلةِ الحاسره
وكم من فتًى عزَّها سمعُهُ ... وغضَّ عَلَى رَهَبٍ ناظره
عصاها ، فنادتْ ، فلم يَستَمِعْ ... فخلَّتْ به لعنـةُ الفاجره !

* * *

له محجرانِ على ما وَعَى ... من الأَلَقِ الطُّهْرِ مختومتانْ
ففي عقلِهِ حركاتُ الزَّمان ... مُصَوَّرَةً وحدودُ المكان
وفي قلبـــهِ أعينٌ نَيِّرَةٌ ... بها النارُ طاغيةُ المنفوان
وفي كلِّ خاطرةٍ نيزكٌ ... يشقُّ سناهُ حجابَ الزمان

* * *

إذا ما هَوَتْ وَرَقاتُ الخريفِ ... أحسَّ لها وَخزاتِ السِّنانْ
وإن سَكَبَتْ زهرةٌ دمعةً ... فمن قلبهِ انحدرتْ دمعتان
ومن عَجَبٍ شَدْوُهُ للربيع ... وقد يُخْطِئُ الطيرُ شدوَ الأوان
كتيثارةِ الرِّيحِ[1] ما لحنُها ... سوى الريحِ في جفوةٍ أو حنانْ

* * *

عوالمُ جيَّاشةٌ بالمنـــى ... ودنيا بأهوائها تضطربْ
من اللانهاية ألوانُها ... مشعشعةٌ بالندى المنسكبْ
ففيها الصباحُ ، وفيها المساء ... وبينهما الشفق الملتهبْ
تطوفُ بها صَدَحاتُ الطروب ... وتسهو بها أنَّةُ المكتئبْ !

هلال محمود طه

(١) قيثارة كان الاغريق القدماء يعلقونها على الشجر فتصدح أوتارها بمرور الرياح أو هبوب النسيم عليها ، وكأن أنغامها صوت الطبيعة الناطقة بأحاسيسها